٥-دولة الغساسنة

كانت قبائل الإزد اليمنية - هاجرت إلى بلاد الشام على اثر انكسار سد مأرب وتدهور في الزراعة واعمال الري في جنوب الجزيرة العربية ، وقد نزل الأزد في البلقاء واستقروا حول نبع ماء يعرف باسم « غسان » فعرفوا بالغساسنة أما المسعودي فيذكر أن نبع غسان كان في بلاد اليمن فيقول « انما غسان ماء شربوا منه فسموا بذلك وهو ما بين ؛ زيد ورمع ، وادى الأشعريين ارض اليمن ، وأورد المسعودي شعرا لحسان بن ثابت : . أما سألت فانا معشر نجب . الأزد نسبتنا والماء غسان وعرف الغساسنة أيضا بال جفنة نسبة الى أول ملوكهم جفنة بن عمرو مزقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة بن امريء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد . كما عرفوا بال ثعلبة نسبة إلى ج د لهذه الأسرة هو ثعلبة بن مازن

وكان يسكن بادية الشام قبل قدوم الغساسنة قوم عرفوا بالضجاعمة من قضاعة ، فلما نزل الغساسنة بجوارهم فرض هؤلاء عليهم الإتاوة ، وظل الغسانيون يؤدونها لهم حتى أندلعت الحرب بين الطرفين وانتهت بتغلب الغساسنة وانفرادهم بالسلطة دون غيرهم (٨٠) . : . : وأول امراء غسان في بلاد الشام هو جفنة بن عمرو مزيقياء ، وقد ذكر حمزة الاصفهاني آن جفنة هذا لما ملك قتل ملوك قضاة من سليح الذين يدعون الضجاعمة ودانت له قضاعة ومن بالشام من الروم (٨١) في حين يذكر المسعودي أن أول من ملك من الغساسنة هو الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة (٨٢) . . . . . ويعتبر الحارث بن جبلة (٥٢٩ ـ ٥١٩ م) أعظم ملوك غسان وأشهرهم . . وكان الحارث هذا معاصرا للامبراطور جستنيان (٥٢٧ ب ١١٠ م) ، وكسري انو شروان (٠٣١ - ١٧٩ م) ، وقد ذكر المؤرخ بروكويوس أن جسينان أنعم على الحارث بلقب « ملك » Basileus وبسط نفوذه على كثير من القبائل العرب بالشام ، وكان الامبراطور يقصد بذلك أن يجعل الحارث خصما قويا في وجه المنذر بن النعمان الف نان ماء السماء ملك الحيرة ويعتقد بعض العلماء ومنهم (نولدكه) أن الامبراطور لم يمنح الحارث لقب « ملك » فقد كان هذا اللقب قاصرا على القياصرة ، فلا

يمنح لغيرهم وإن ما لقب به الحارث ميره من آل جفنة هرولة البطريقه أو لقب شيخ القبيلة (فيلاروس) وقد قام الحارث بن جبلة بضبط أمور سورية اثناء انشت الامبراطور جستنيان بحرو به في أسبانيا وشمال افريقيا ، واستطاع يقيم جبهة قوية أمام المنذر بر ماء السماء ملك الحيرة ، وحارب الن اعداء الرومان قد قامت الحرب بين الحارث بن جبلة والمنذر بن ماء السماء في سنة ٥٣٨ م . بسبب الاراضي التي اطلق عليها الرومان اسم ستراته وهي الاراضي الممتدة على جانبي الطريق الحربية من دمشق إلى م ا بعد تدمر حتى مدينة سروج ، فقد ادعى المنذر أن القبائل العربية المنازلة في تلك الاراضي خاضعة لسلطانه وانها تدفع له الجزية ، فنازعه الحارث على هذه السلطة وقامت الخرب بينهما فانتصر كسرى للمنذر واوعز اليه بالتوغل في سورية فوصلت هجماته الى انطاكية (وفي سنة ٥٤١ م اشترك الحارث في القتال إلى جانب الروم فعبر بجيوشه نهر دجلة لكنه سرعان ما عاد إلى مواقعة السابقة عن طريق آخرى غير الطريق التي سلكها معظم الجيش ، وقد آثار تصرفه هذا

شكوك الروم في أخلاصه . . ولم يمض على هذا الحادث سوى فترة قصيرة حتى تجددت الحرب بين الحارث والمنذر في سنة ٥٤٤ م . فهزم الغساسنة ووقع أحد أبناء الحارث اسيرا في يد المنذر فقدمه ضحية للالهة العزي واستمر العداء سائدا بين الغساسنة والمناذرة ، حتى تمكن الحارث من احراز النصر على المنذر ملك الحيرة في سنة ٥٥٤ م في المعركة التي حدثت بالقرب من « قنسرين » وقتل فيها المنذر نفسه ، وخسر الحارث احد ابنائه ويدعى « جبلة فدفنه ابوه في قلعة عين عوداجه بالقرب من قنسرين وبعد وفاة الحارث بن جبلة سنة ١٩٩ م خلفة في الحكم المنذر بن الحارث الذي عرف في المصادر اليونانية واللاتينية باسم كما لقب بالمنذر الاكبر تمييزا له عن أخيه المنذر الاصغر . . : وقد استهل المنذر عهده بمحاربة المناذرة فاتنصر على ملكهم قابوس بن المنذر في موقعة « عين اباغ » التي حدثت في سنة ٧٠ - بالقرب من : وكانت العلاقات بين الغساسنة والروم قد أخذت تسئ بسبب موقف المنذر المؤيد للمذهب المونوفيزيتي (اليعقوبي) ، فأوعز الإمبراطور جستين

الثاني (٥٦٥ - ٥٧٨ م) الى البطريق م انوس بتدبير مؤامرة لق لى المنتز ، فلما احسّ المنذر بذلك هرب الى البادية وشق عصا الطاع على الامبراطور مدة ثلاث سنوات ، فاغتنم المناذرة الفرصة وهاجواز سوريا وعاثوا بها ، فاضطر الروم إلى مفاوضة المنذر واسترضائه فعقد الصلح بينهما في أواخر أيام الا . اطور جستين الثاني وقد قام المنذر بزيارة القس طينية في ٨ مارس سنة ٥٨٠ م استقبل استقبالا حافلا ، وانعم عليه الامبراطور الجديد طيباريوس بالتاج بدلا من الاكليل الذي كان ينعم به الروم على عمالهم من العرب ولم تلبث العلاقات بين المنذر والروم أن تدهورت على أثر أشتراك المنذر في الحملة التي قام بها موريق (قومس الشرق) ضد الفرس ، فقد عزي الرومان فشل هذه الحملة الى تواطىء المنذر مع الفرس ، فقد وجد موريق الجسر الكبير على نهر الفرات مهدما فظن أن في الأمر خيانة من جانب الملك الغساني فزاد هذا الحادث من أيغار صدور الروم ضد المنذر فأرسل الأمبراطور طيباريوس الى « ماجنوس » والحاكم الروماني في سوريا يأمره بالقبض على المنذر ، ولم يسع ماجنوس الا أن ينفذ أمر الإمبراطور رغم الصداقة التي كانت تربطه بالمنذر ، فأرسل الى المنذر يدعوه إلى حضور حفل افتتاح أحدى الكنائس في بلدة

الحواريين (بين تدمر ودمشق) ، فلما حضر المنذر القي القبض عليه وأرسل الى القسطنطينية مع أبنين له واحدى نسائه ثم توفي الأمبراطور طيباريوس وتولى الحكم بعده موريق عدو المنذر اللدود ، فأمر بنفي المنذر الى جزيرة صقلية ، ولم يكتفي بذلك بل عمد الى قطع المعونة السنوية التي كانت تقدمها الدولة البيزنطية إلى أسرة المنذر من آل جفنة فأثار هذا التصرف ابناء المنذر الأربعة وشقوا عصا الطاعة على الروم ، فأوغلوا في الصحراء تحت قيادة اخيهم الأكبر - النعمان - واخذوا يشنون الغارات على أراضي الدولة البيزنطية فقاموا بهجمات عنيفة ضد « بصري » التي كانت أكبر قاعدة بيزنطية في جنوب سوريا ، فاضطر الامبراطور موريق الى تجهيز حملة بقيادة ماجنوس لمحاربة أولاد المنذر فاستطاع أن يلقي القبض على النعمان بن المنذر بالخديعة والدهاء ، وأرسله الى القسطنطينية في سنة ١٨٣ م. وقد أعقب أسر النعمان بن المنذر تصدعا في دولة الغساسنة ، فتفككت وحدة العرب في سوريا وانقسموا إلى فرقة لكل منها أمير وبدأت القبائل تطاحن فيما بينها ، كما أخذ بعضهم يشن الغارات على المناطق المتحضرة في سوريا ، فاضطر الرومان إلى اقامة أمير جديد اللغساسنة بدلا من المنذر ، وحرصوا أن يكون الأمير الجديد من آل جفنة لما كان يتمتع به هؤلاء من مكانة وهيبة في نفوس العرب في

سوريا اختلف الاخباريون العرب في ذكر اسماء امراء الغساسنة بعد المنذر بن الحارث ، كما انقطع المؤرخون السوريون والبيزنطييون عن ذك أخبار الجفنة بعد المنذر ، والثابت أن هناك عدد من الأمراء الغساسنة تولوا الحكم بعد المنذر ، وكانت مدة حكمهم قصيرة وقد أورد جمت الأصفهاني قائمة باسمائهم تختلف ء الأسماء التي أوردها المسعودي وابن قتيبة ثم تفرق آل جفنة في الصحراء وفر بعضهم إلى بلاد الروم على أثر استيلاء الفرس يعلى بلاد الشام في سنة ١١٣ م ، وبعد نجاح الامبراطور هرقل في استرداد الشام من الفرس في سنة ٩٢٩ م أسند جكم سورية الى اجد الأمراء الغساسنة وهو (جبلة بن الايهم) ، الذي اشترك مع الروم في قتال المسلمين بقيادة خالد بن الوليد في « دوبة الجندل » سنة ١٣٤ م ، كما اشترك مع الروم في موقعة اليرموك واسلم بعد هذه الموقعة ، غير أنه ما لبث أن أرتد ع ن الإسلام وهرب الى القسطنطينية

المصادر

١- رشيد الجميلي, تاريخ العرب في الجاهلية وعصر الدعوة الإسلامية.

٢- صالح احمد العلي, محاضرات في تاريخ العرب.